

في نور محمد فاطمة الزهراء

الأشهاد، وتناشد الناس ما كان يقول في كل مكان، ففيه سلاسة تيسره للألسنة وتحببه إلى الأسماع. منه في هذا المجال: الحمد لله - مُمسنا ومُصبحنا *** بالخير صَدِّحَنَا رَبِّي وَمَسَّحَنَا رَبُّ الْحَنِيفَةِ لَمْ تَنْفَدْ خَزَائِنَهَا *** مَمْلُوءَةٌ طَبَقِ الْآفَاقِ سُلْطَانَا أَلَا نَبِيٌّ لَنَا مِنْذُ فَيُخَبِّرُنَا *** مَا بَعْدُ غَايَتَنَا مِنْ رَأْسِ مِحْيَانَا بَيْنَا يَرْبِنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا *** وَبَيْنَمَا نَقُوتُنِي الْأَوْلَادُ أَفْدَانَا وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا *** أَنْ سَوْفَ يَلْحَقُ أُخْرَانَا بِأَوْلَانَا [443] وَكَانَ يُؤْمِنُ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَقًّا، فَاتَّبَعَهَا، وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِمَا أَدْرَكَ مِنْهَا مِنْ بَقَايَا وَشُذُورٍ، وَرَاحَ يَحْتَضِرُ عَلَيْهَا النَّاسَ، قَالَ: كُلَّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ - إِلَّا الْحَنِيفَةَ - زور. * * * إِنَّ قِرَاءَاتِهِ وَمَدَارِسَاتِهِ، وَشَيْئًا فِي نَفْسِهِ، كَانَتْ تَلْقَى فِي رُوعِهِ أَنَّ نَبِيًّا يَطْهَرُ فِي الْعَرَبِ، مَبْشُرًا بِدِينٍ هُوَ خَاتَمُ الرِّسَالَاتِ، فَطَمَعُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَبْعُوثُ بِهَذَا الدِّينِ. وَعَلَى بُلُوغِهِ مَا لَمْ يَكِدْ يَبْلُغُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ مِنْ مَعَاصِرِهِ، فَإِزَّهَ ظَلَّ عَلَى نَفْسِ دَأْبِهِ، يَطُوفُ بِأَصْحَابِ الْبَيْعِ وَالصَّوَامِعِ، مَجَالِسًا مَدَارِسًا، لِعَلَّاهُ أَنْ يَزِيدَ عِلْمًا، أَوْ يَقَعَ عِنْدَهُمْ عَلَى جَدِيدٍ. وَرَجَلَ آخِرَ رِحْلَاتِ نَشْدَانِهِ الْحَقِيقَةَ، هَذِهِ الْمَرْوَةَ كَانَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَرِيشٍ بَيْنَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ وَابْتَرَبَتْهُ عَلَى جَانِبِ طَرِيقِ سَلْكُوهِ اسْتَمَهَلَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَنْتَظِرُوهُ، وَمَضَى عَنْهُمْ إِلَى حَيْثُ لَا يَعْرِفُونَ وَجْهَتَهُ. بَخَطَى حَثِيثَةً وَاسِعَةً انْطَلَقَ إِلَى التَّلِّ فَاعْتَلَاهُ، وَبِمِمْ كَنِيسَةً صَغِيرَةً فَوْقَ الْقَمَّةِ، عِنْدَ